

مئة كيار فأنها في السنة ١٩٠٣ هبطت جبايته الى ٢٥ فرنكا فقط فازدادت للحال
قطيعة

واعلم ان بلادا كثيرة ليست في حاجة الى السكر كغيرها لما تجده من الثمار
الطيبة في جهاتها. فان بلاد الشرق عموما واصقاع اوربة الجنوبية تستفي بذلك عن
السكر الصناعي لان الطبيعة قد خزنت هناك مقادير عظيمة من سكرها اللذيذ في كل
اصناف الاشجار المثمرة فيجنيها اصحابها ويستدون منها سكر اشهى طعما وأند
حلاوة. فيقتضى عليهم ان يشكروا الخالق عن تلك المنة الجزية التي حرمتها اجمالا
البلاد الشمالية

ومع هذا فأننا نرغب لو سمى اهل بلادنا في انشاء معامل يجارون فيها الاوربيين
لاصطناع السكر ولا سيما ان تربة هذه البلاد تغل لهم بوفرة القصب والشندر اللذين
منها يستد غالبا السكر الصناعي

المختار في كشف الاسرار

نظر الازب اريس شيخو البصري

وصفنا قبل سنتين كتابا عجيبا في بابه استوقف تعريفه نظر القراء. فاخذهم
الرجب من ذكاه. صاحبه زيد كتاب نهاية الرتبة في طباط الحبة (الشرق ١٠: ١١١)
١٠٧١ و ١١: ٥٨٠) لابن بسام فذكرنا تنقفا من ابراهيم في جيل المدائين وضروب
غشيم في المادلات او البايات. وقد وقع الينا حديثا مختظرا آخر له علاقة مع
التأليف السابق بيع قبل شهرين في بيروت فيما بيع من مكتبة الرحم الاديب جبرا
دلال الحلبي اسمه «المختار في كشف الاسرار» يجتري امورا كثيرة من اسرار
النصائين ومكايد المدائين فأحينا نقل شي من مضامينه لقراءتنا تفكها للألباب
وتحذيرا لهم من خدائع المكائرين

(موانف الكتاب) يدعى صاحب هذا الكتاب في صدر تأليفه زين الدين
عبد الرحيم ابن ابي بكر الدمشقي الشهير بالجزيري. وقد دعاه الحاج خليفة في كشف

الظنون (ed. Flügel, V: 438) الشيخ الامام عبد الرحمان بن ابي بكر وسماه
 في محل آخر (Ibid. V: 202) « الامام الاوحد عبد الرحيم بن عمر الدمشقي الحراني »
 فعلى هذا البناء يكون اصله من دمشق او بالحري من جوهر احدى قرى دمشق . ثم
 انتقل الى حران في ما بين النهرين . ولا نعرف شيئاً من بقية اخباره مع تحريتنا في هذا
 الامر والتفتيش البالغ . الا ان في كتابه هذا اشارات تفيدنا عنه بعض الافادات
 فيؤخذ من مقدمته انه كان مدة في خدمة السلطان مسعود بن محمود بن محمد بن
 قرا ارسلان احد ملوك بني ارتق وصاحب آمد (معجم البلدان لياقوت ١: ٦٨٥) في
 اوائل القرن الثالث عشر للمسيح . وقد ذكر في فصول كتابه بلاداً كثيرة تجول فيها
 فكان في حران سنة ٦١٣ (١٢١٦ م) وفي قونية في بلاد الروم سنة ٦١٦ (١٢١١)
 وفي هندبار (ص ٥١ من نسختنا) والبلاد الهندية (ص ٦١) وفي جدة والحجاز (٧٣
 و٧٥) ويذكر اصحاباً اجتمع بهم كالشيخ قطب الدين الحلبي واعظ الديار المصرية
 (ص ٣٩) والشيخ سليمان المغربي في الحجاز (ص ٢١) . ويظهر انه عاش الى السنة
 ٦٢٩ (١٢٣٢ م) لانه ذكر وفاة رجل ادعى الكرامات في أيام الملك الكامل وتوفي
 في تلك السنة (ص ١٩)

اهـ معارف الجوبري وآدابه فاتها تظهر بما قدمه على كتابه من مطالعة كتب
 الحكماء الاقدمين في الحيل والطلسمات والاسرار الخفية والرموز ذكر منها قسماً صالحاً
 ثم تحطى الى ذكر العلماء التأخرين كابن سينا وابن رحيمة وجابر والحوارزمي وغيرهم
 مع عدة تأليف في فنون النواميس كحيل بني موسى (اطلب المشرق ٩: ١١١١) وكتاب
 ابن شهيد المسمى كشف الدك . وايضاح الشك وغير ذلك من كتب الرمل والتنجيم
 بما يبلغ اللين عدداً يطالع على تلك الاسرار فيكشفها . وفي كل ذلك ما يُشعر بذكاء
 المؤلف وسعة مداركه . وقد أتت في هذه الفنون كتباً ذكر منها في مقدمته كتاب
 السراط المستقيم في علم الروحانية وصناعة التنجيم (ورد اسمه في كشف الظنون ٤:
 ١٠٢) وكتاباً على اصول علم الرمل وفروعه . فاعلمك بهذه الافادات علماً بقدرة المؤلف
 وطول باعه بفنون عصره

(تعريف الكتاب) النسخة التي رقت الى يدا من هذا الكتاب حديثة الخط
 كتبت بعام عادي سنة ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤ م) صفحاتها ١٥٥ وفي كل صفحة ٢١

سطراً واسم الكتاب في أوله على هذه الصورة «كتاب الدر المختار في كشف الاسرار» لكنه دعاه في الحتام «كتاب الكثر المختار في كشف الاسرار» وكذلك اختلف الحاج خليفة في تسميته فدعاه في باب الكفاف (ed. Flügel, V: 202) كشف اسرار المحتالين ونواميس الحيليين. ثم ابدل اسمه بعد ذلك فوسمه بالمختار في كشف الاسرار وهتك الستر في علم الحيل وهذا الاسم اقرب الى الاسم الاصلي الذي في مقدمة الكتاب «كتاب المختار في كشف الاسرار» ومنه عدة نسخ في خزائن كتب اوروبية كباريس (Cat. des Mss. arabes de Paris, p. 736) وبرلين (V: 85-88) وبيدن (III: 175) وثيئة (II: 501-3) وقد اتسع مصنفو جداول تلك المخطوطات الاوروبية في وصفه ولاسيما اهلبرت (W. Ahlwardt) واصف مخطوطات برلين وفلرغل (Flügel) صاحب جدول مخطوطات ثيئة فأثبتوا اقسامه وفصله لمتعين بخط الكتاب واهميته. وقد كان سبق هو لآ. العلامة الهولندي الاستاذ دي غوي (de Goeje) سنة ١٨٦٦ فكتب في هذا التأليف فصلاً واسعاً في المجلة الاسيوية الالمانية (ZDMG, XX, 485-515) واثبت مقدمته ونقل عنه بعض قطع تنويهاً بشأنه. ثم وقفنا منه على نسخة سقيمة طبعت في مصر قبل عشر سنوات وكانها خلاصته لا تكاد تتجاوز نصفه فرأينا العبد احمد الى بيان مضامينه وقطاف بعض منتخباته. والكتاب يتضمن ثلاثين فصلاً وكل فصل يحتوي على عدة ابواب. والنسخ تختلف في ترتيب النصول وعدد الابواب. وقد وصف الحاج خليفة هذا الكتاب بما حزنه (٤٣٨: ٥): «المختار في كشف الاسرار للشيخ الامام عبيد الرحمن (عبد الرحيم) بن ابي بكر الجوزي مشتمل على ٣٠ فصلاً ومنها ما يشتمل على ابواب وعدة النصول والابواب ٢٦٦. وهو كتاب غريب ليس له نظير في باب اخذ على ما قاله مؤلفه في اوله من ينبوع الحكمة والاسفار الحسة وكتب الاوائل والاواخر من نحو الف وثلاثمائة كتاب فهتك اسرار الكاذبين وكشف عورات المدعين من كل قوم» وقد عاد الحاج خليفة الى ذكر هذا الكتاب في مواضع اخرى من كتابه وخصوصاً في باب الحيل الساسية

منتخبات من الكتاب

انتسح المؤلف كتابه بمكر الذين ادعوا النبوة فأتخذوا لاثبات دعوتهم ضرب الحليل . ومثن ذكرهم رَجُلٌ يعرف باسحاق الانرس ظهر في أوَّل الخلافة العبَّاسية ادعى النبوة وتبعه خلق كثير وملك الى البصرة وعمان اقام عشر سنين في اصفهان ساكناً كأنه انرس حتى اذا كانت احدى الليالي صرخ صرخة ازهجت الناس فاتوه واذا هو منتصب في المحراب يصلي ويقرأ القرآن بصوت اطرب ما يكون ونعمة الذ من النسيم ثم قص على الناس الاقاصيص العجيبة فصدقوه وتبعوه واستنجل امره حتى اذعن له اهل البصرة وانتشر ملكه الى عمان . قال المؤلف : « ولم يزل كذلك حتى قُتل وله شريعة بعان الى يومنا هذا »

ثم ذكر رجلاً يسمى ابا سعيد اللحياني (ويروي : اللحاني والحياني والجزاني) القرمطي ظهر سنة ٥٢٥ (٨٧٤ م) وادعى النبوة وملك هجر والبحرين وعمان وتيب وسبي وكان مع ذلك مريضاً قد بطل شئ الايسر (ويروي : الاين) وكان اعرف الناس بنواميس افلاطون ودعي بالقرمطي باسم رجل انتسب اليه ابو سعيد وقالوا بل نسبة لقرية قومطونه كان خرج منها . وقال فيه شاعره التبطني الشيباني قصيدة طوية منها قوله :

فن ادى الرعي مكتوب صحائفه منظم بكلام الله تنظيما
ومن بين الارض قد شدت مراكزها لولاه اصبح وجه الارض مظلميا

ذبح ابو سعيد في الحتام سنة ٣٠٠ (٩١٣ م) وخائف عقباً ونسلأ عرفوا من بعدهم بالسادة

واعجب منها ما ذكره الجويري (ص ٨) عن رجل ظهر في مدينة تانس في مصر على عهد العز (ويروي : العتر) اسمه فارس بن يحيى السايطي قال : « سلك مسلك عيسى بن مريم واحيا الموتى واهربوا الابرص والاجذم والاعمى وبتى له صومعة في البلد على البحر وهي باقية الى يومنا » . ثم حاول المؤلف ان يبين شعوزة الرجل باصطناع تلك المعجزات بيد ان شروحه لم تقنعنا فبزعم مشلاً انه اقام ميتاً على هذه الطريقة (ص ٨) قال :

وذلك انه كان فيلوسافاً فاخذ من كفن ذلك الميت الذي اراد ان يمسه جزءاً ومن حب الترحيل جزءاً ومن الجندبادستر جزءاً ثم جعلها قيلة وارقدما قدام اهل ذلك الميت الذي قد أخذ من كفنه فغُيِّلَ لهم ان يتهم قد قام من قبره يمزق اصكفاته وهو على هيئة نأزوه عمأ ارادوا فغُيِّلَ لهم انه يخاطبهم بما بألونه عنهُ فعاترت فيه الافكار

وهو شرح غامض لا يبيح بالسر وكان الادلى بالمؤلف ان يكرموت الانسان . وكذلك اراد ان يبين كيف السمك كان يطلع من البحر وقبل اقدمه فزعم انه كان يطلع اقدمه بمعجون من السريقين والباذروج وحب القشاع مع دهن الياسمين فيسبي على ساحل البحر فيطلع السمك على رائحة الدواء ويلبس اقدمه . وهو ايضاً شرح لا يفي بالرام ولا نظن ان السمك يخرج من مائه اذا اشم مجبوتاً كهذا . ومثله الشرح الذي اردفه المؤلف ليكشف سر الرجل بشنائه البرص فانه من الترابة بمكان اذ زعم انه كان يأخذ اصول انكرفس ونمغ اللام ويدفنها في الزبل حتى يتولد منها درد ايض كان يطلع به الناس فيظهر في جلدهم البرص ثم يزيله بالشيترج الهندى المطلى بالحل الحاذق . فان مثل هذه الشرذات لا تخفى على الناس

ومثله ايضاً ما اخبر عن راع يبردي ظهر في جهات طبرية وادعى انه موسى وانه اتخذ له عصاً كان يسوق بها السباع والوحوش كما يسوق الغنم وانه كان ياتيها على الارض فتجري على مثال الثعبان فاذا كان الحر شديداً القى العصا فاذا حيت سمت مثل الثعبان ولسانها يلمب . وهو تفسير غريب لا يمتنع احداً . ولعل ذلك الراعي كان ساحراً كخبرة فرعون الذين اصطنعوا مثل هذه الاعمال بقرة الشيطان فان السحر لا ينكر وكفى دليلاً على وجوده ما تنقله الجرائد عن البيهيم وعالم الاموات

ثم ردى المؤلف ان بعض هؤلاء النصابين تمكّنوا بتراكيب ركبوها وتدخينات اصعدوها من ان يسكروا صفاء الجو ويجججوا جنود الشمس فاظهروا النجوم نهارة . وكذلك اخبر عن رجل في ايام الامون اسمه عبد الله بن ميمون كان في سواد انكوفة وارى الناس الخارقين من التارخييات ثم اراهم انشقاق القمر فاخرو عقولهم بدخان اصعده من رأس جبل ومنع ستور وبعض الحشاش . ولا نعلم ما في ذلك من الصحة

ربلي هذا الفصل فصل آخر يشبه اردعه الكتاب اخبار الدعين المشيخة ممن يتظاهرون بالصلاح والكرامات وإن هم الأذجالون كذبة . وقد جعلهم المؤلف طبقات وقد ابتداء بذكر الحسين بن منصور الخلاج قال (ص ١١):
 كان ظهر ببنداد سنة ٣٠٨ وكان يدعو الناس الى عبادة اقه فوشوا به الى علي بن عيسى الوزير فاحضره وضربه الف مراً ثم فصل اعضاءه وقيل انه لم يتأوه وكان كلنا قد منة عضو يقول:

وحرمه الرد الذي لم يكن يطعم في افساده الدهر
 ما نالني عند نزول البلا جهد ولا مسني الضر
 ما قد لي عضر ولا مفصل الا وفيه لكم ذكر

على ان المؤلف لم يبين في ذكر الخلاج في اي شيء ركب الشطط . وقد بلغنا ان احد المستشرقين المدعو لويس مينيون (M^r L. Massignon) ألف كتاباً يكشف فيه القناع عن اخبار هذا الرجل وتعاليه

ثم ذكر اعمال بعض الشايخ يخذعون بها السذج منها دخولهم في النار بعد ان دهنوا جدهم بدهن ضفدع ملوق اضافوا اليه شيئاً من البارود المسى بالثلجي فلا تعود النار تضرهم . ويلطخون بهذا الدراء اصابهم ثم يفسونها بالنفط ثم يشعلونها كما يشتمل الشمع ولا يزالون يرقصون واصابعهم تشمل حتى يضج الحلق ثم يدنو الرجل من الشمعة فيشملها ويطنى اصابعه . وبعضهم يتخذون قرعاً من اللد الاحمر الطال الثاني يجعلها على اصابعه ثم يسقيها بالنفط ويشعلها فلا يضره . وبعضهم يأخذ الطلق المحارب يضيف اليه منرة مديئة وحشية الخيطم مع الكبرة الخضراء .

وذكر بعد هذا شيئاً يظهر في غير اوقاتها بان يتضجوها على طرائق شتى او يوتخروا زمن انضاجها فيأتون بها في غير فصولها . واخبر عن رجل يقال له المقصود ظهر في دولة الملك العادل ابي بكر بن ايوب في دمشق فادعى المشيخة وكان يظهر في اوقات لا يمكن ان توجد فيها فلما استنجل امره ادعى النبوة وانه عيسى ابن مريم فربط جماعة من كبار البلد ومن جملتهم اهل سوق الرملين واهل الزرة وكفرسوسه . فلما كثر الراجح فيه طاب ظاهر البلد وتزل بمكان يرف بالصفصاف . قيل لهم بنو الصفصاف وهو امر مشهور بدمشق .

ثم روى عن بعضهم انهم كانوا يقيمون اربعين يوماً واكثر لا يأكلون ولا

يشربون ويدعون ان طعامهم التسبيح وشرايهم التقديس وان الله تعالى يبعث لهم من طعام الجنة ، وقد زعم المؤلف انهم كانوا « يورون عظمهم بسفوف من بزور الحبة الحقا - المسحوق المتفوق بالخل . او بسفوف آخر من كبد غزال عطشان مجفف ومسحوق فاذا استغنى لا تطلب تنه الماء » والله اعلم . واخبر قصة رجل يدعى ابا الفتح الواسطي فعل ذلك على بحر الاسكندرية في زمانه سنة ٦١٥ هـ (١٢١٨ م) فاخبره صاحب البلدة عز الدين بلان وجبته في داره ستة اشهر فبقي تلك اللدة لا يشرب فبني له عز الدين زاوية وبها مات سنة ٦١٧ هـ (١٢٢٠ م) . وذكر سفوفات أخرى لسد جوعهم ثم قال (ص ١٩) : « ومنهم اخزاهم الله من ينوع الماء من بين اصابه وذلك انهم يأخذون الحصى الغرائي ويحاطون معه حصى البارود الثلجي ثم يجعله الشيخ السوف في يده ويشغل الناس ساعة بالحديث فيقطر الماء من بين اصابه فيذهل القوم ويتوهمون فيه الصلاح وهو بضد ذلك »

ثم ذكر الذين « يجعمون عدداً من الدود المعروف بالطيروثه (اليراع او الحياحب) وهي التي تسرج بالليل في أيام الربيع ثم يجعلونها في خرقة شعر رقيقة ويربطونها في جبينهم وطرفها تحت العمامة فيظهر نور عظيم يذهل العقول »

ثم انتقل الى ذكر « المشايخ الذين يأكلون الحشيش وهو من اعظم السكرات فيجترحون المحظرات وينتهكون الحارم وقد جعل هؤلاء كراماتهم أكل النار والحيات » قال ذلك ولم يكشف سر هذا العمل

وفي الفصل الثالث (ص ٢٨) تكلم في اسرار كذبة الوعاظ الذين يتخذون الوعظ اجولة اطامهم وراياتهم السخيفة كابي زيد السروجي في المقامات الحريرية . قال الجبري :

ان صناعة هذه الطائفة هي اجل الصانع وهي اعلى مرتبة بني ساسان (يريد ارباب المدع والمكر) . . . ومن دعواتهم انهم يصمدون المنبر بنشوع وسكينة فاذا شرعوا في الكلام وذكروا احوال يوم القيامة وما اعد الله تعالى فيها للمجرمين يكون بدوع آخر من الجسر فاذا ارادوا ذلك يأخذون الحردل يسحقونه ثم ينعمونه في الخال يوماً ويلة ثم يقون به التدليل الذي يسحرون به وجوههم ويتركونه حتى يميف فاذا جف اخذه في كفه فاذا حصل على المنبر وورد احوال الآخرة مسح وجهه بذلك التدليل فتقل دموعه مثل المطر

ثم ذكر اتخاذهم نساءهم لئلا ينش الجهور يتفقون معهم كما فعل السروجي

بجزره السعلاة كخص يصطاد بها هدايا الناس - ومأ رواه المؤلف عن صديق له كان في الديار المصرية اسمه قطب الدين « وكان من اطرف اهل زمانه واشدهم خلاعة وكان معتكفاً على شرب الخمر » انه راهنه بان يأكل ويشرب الخمر على المتبر ويطلب بالطنبور . وفعل كل ذلك بجيل سروجية يطول وصفها دون ان يشمر الجمهور بجداعه وقد خص المؤلف فصلاً (١) ليكشف فيه بعض حيل نسبا للرهبان الا ان اكثر ما اورده رواه عن سمع ليس عن عيان ولا ينطبق مع التاريخ الصحيح فمن ذلك ذكره لدير الصنم قال (ص ١٢٠) : « وفيه صنم من حديد واقف في قبة بين الهراء والفضاء لا يسقط الى الارض ولا يرتفع الى فوق ولا يميل يمينا ولا شمالاً وقد ارتبط عليه الناس من الزنج والروم واليونان وجميع اجناس النصارى وهذا الصنم من صنعة الحكيم بلينيوس » . قال الجوربي ذلك وبين سر وضع الصنم بتركيب قطع من الغناطيس محكمة التركيب والموازنة . (قلنا) لم يعرف للنصارى دير يدعى دير الصنم ومن المعلوم ان بلينيوس الحكيم كان وثناً فلم يمكن النصارى ان يكرموا صنماً من صنمه فضلاً عن ان التاريخ لم يذكر لبلينيوس اثرًا كهذا . وزد على ذلك ان خبر هذا الصنم العجيب قد رواه القزويني في آثار البلاد (ص ٦٣) عن اهل سومناة الشركين في الهند ونقلناه عنه في مجالي الادب (٢٤١:٣)

ومأ نسبة الجوربي الى خدعة الرهبان زيت يسيل بحضرة خفية في كنيسة سيدنايا امام صورة العذراء يتخذها الزوار للبركة في يوم عيدها . (قلنا) اننا زرنا دير سيدنايا وكنيتها (اطلب المشرق ١: ١٠٥٠) ولم نسمع بخبر هذا الزيت وخدعة الناس به . كما اننا رينا قصة ايقونته القديمة (المشرق ٨: ٤٦١) واپس فيها اثر لهذا الخبر سوى ما ذكره الرازي انه ظهر عليها شبه عرق لما وضعوها في مكانها . رأ الزيت فيأخذها الزوار من عدة قناديل توجد هناك ليلاً مع نهار على طول أيام السنة

وذكر ايضا الجوربي الاثر الذي توجد يوم سبت النور في كنيسة القيامة في القدس وبين ان في ايقادها شعرة . ثم سمي في كشف السر . (قلنا) ان سر هذا النور قريب للدراك يوجد على طريقة طبيعية كما يترب به عقلاء الروم انهم فضلاً عن سراهم . ولعل الذين اتخذوا ذلك ادلاً انما اتخذوه كرتبة كنيسية محضة جارية في كل

(١) هذا الفصل هو الرابع في نسخ كبيرة وهو الرابع والمشررون من نسختنا

الطوائف النصرانية ثم زعم بعض الجهال أنه نور سماوي ووجد اهل الطامع في هذا الاعتقاد رجلاً فأجروا الرتبة سرّاً. وقد اثبت السيد الاستيف الارثوذكسي رفائيل هوليني في مجلة الكلمة (٤: ٣٨٤ و ٤٠٤ و ٤٧٨) ثلث مقالات في هذا الصدد وختم قوله بأن ليس ثمّ اعجوبة بل ذلك احتفال كنسي ورمز فقط يُشار به الى نور الايمان وقد اقترح (ص ٤١٦) على الاكليروس الارشليمي بان يجروا بعض التغيير والتبديل في طريقة اتمام تلك الرتبة لتلاّ يُجذع بها السذج فقال ما حروفه :

ان هذا يمكن بل ضروري ايضاً وذلك بان يُبنى منها امر خلع البطريرك ملايحه المبرية ودخوله وحده الى داخل القبر المقدس وافعال الباب ورائه ولاسيما امر اختلاطه ضمن القبر مدة غير معلومة من الزمان قد تطول في بعض السنين ثلث ساعة او اكثر. فان جميع هذه الامور ما يوم للناظرين كون البطريرك انما دخل الى القبر كي « ياتي بمعجزة » فيقول « كايلا النبي » ناراً من السماء على قند الشمع الذي بيده. فبدلاً اذن من هذه كلها نرى ان الأولى لدى اهل القبر ان يدخل البطريرك الى القبر بملابسه المبرية بدون نايح ولا عكاز وبدون ان تُخلق ابواب القبر ورائه وبعد ان يسجد ويصلي امام السيد يغير قند الشمع من نور القنديل المقدس ويخرج حالاً الى امام الشعب ويحتف بحوم قائلاً: « هلوا خذوا نوراً مقدساً من القبر المقدس » فيتقدم الاساقفة فبقية الاكليروس بحسب درجاتهم ويشلون شوعمهم ثم هولوا يشلون شوعم الشعب بكل ترتيب ونظام ووقار واحترام »

فتم القول وباليته يجري قريباً بالعمل ليزول شكوك البعض في ان الاكليروس الارثوذكسي بعلمه يوهم الناس بان هناك معجزة حيث لا معجزة البتة
(البقية لعدد آخر)

الأبدال

لحضرة الاب انتاس الكرملي

قد تكرر اسم الأبدال في كتب العرب وعلى الأخص في كتب الحديث واهل الطريقة من الصوفيين وغيرهم فاحببتنا ان نورد لذكورهم فصلاً نجمع فيه ما كتبه العرب في شأنهم مع تقد كلامهم